

الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦ م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

أورشليم " القدس " **منذ أقدم العصور وحتى بداية العصر الرومانى** **(دراسة تاريخية وثائقية)**

دكتور هابيل فهمى عبد الملك

مدرس التاريخ اليونانى والرومانى - كلية الآداب - جامعة الموفية

مدينة أورشليم مدينة قديمة ، وأقدم الإشارات إليها نجدها فى رسائل تل العمارنة (١) (١٤٥٠ ق.م) حيث وردت فى الرسائل المتبادلة بين عبده خيبا Abdu - Heba حاكم أورشليم وبين الملك الفرعونى أمنحتب الرابع وابنه (إخناتون) (١٣٧٠ - ١٣٤٩ ق.م) كما يعتقد ، ومن هذه الرسائل نستنتج أن منطقة أورشليم كانت منطقة حصينة تحرسها قوات مصرية مرتزقة . وهناك اعتقاد ، سائر ، بأن فرعون مصر أمنحتب الرابع حاول جعل أورشليم مكانا مقدسا للإله آتون .

وقد ظهر اسم أورشليم فى الكتابات المسمارية على هذا النحو (اورو - سا - ليم) وهو ما يوافق اسمها على الآثار الآشورية منذ القرن الثامن ق.م (اور - سا - لى - إمو).

وإذا ما رجعنا إلى نصوص العهد القديم نجد أن أقدم الأسماء العبرية التى أطلقت على المدينة هى (يوروشاليم) ثم اختصرت إلى (سالييم) أو (شاليم) (٢) ، ثم تطور الاسم فصار ينطق (يوروشالاييم) (٣) وهو نفس الاسم الذى ظهر على العملة اليهودية وفى الأدب اليهودى القديم .

وفى الترجمة السبعينية وردت أورشليم تحت اسم (ايروسليم) ، وفى كتابات يوسفوس (هيروسليم) ، أما فى أسفار المكابيين الثانى والثالث (هيروسلوما) وهو نفس الاسم الذى ورد فى كتابات استرابون ، وشيشيرون وبلىنى ، وثاكيثوس وغيرهم .

وفى عصر الإمبراطور هادريان (١١٧ - ١٣٨ م) صار الاسم الذى يطلق على منطقة أورشليم هو ايلياء الكبرى أو ايلياء كابيتولينا Aelia Capitolina .

أما الاسم (جيروسليم) فقد ورد لأول مرة فى الكتابات الفرنسية التى ترجع إلى القرن الثانى عشر .

وتشير نصوص العهد القديم إلى أسماء أخرى أطلقت على أورشليم منها اسم (يبوس) وهو اسم أورشليم فى عهد اليبوسيين (٤) .

وتسمى أيضا (أريثيل) (٥) " ومدينة العدل " (٦) ، و " عيرهاكورش " (٧) أى مدينة القدس .

والاسم الشائع فى اللغة العربية هو (بيت المقدس) أو " القدس " أما فى الكتابات المسيحية فتسمى (أورشليم) نقلا عن اسمها العبرى .

أما عن معنى اسم (أورشليم) فالرأى السائد أن اسمها يعنى " مدينة السلام " أو مدينة الإله سالييم (٨) .

ومن سخریات القدر أن مدينة السلام لم تر إلا القليل من السلام عبر التاريخ ، فهل أن لها الأوان لتكون بالفعل مدينة للسلام ؟!!

بعد هذا التقديم الذى أوضحنا فيه تطور اسم أورشليم ومعناه فمتعرض فى إيجاز تاريخ المدينة منذ أقدم العصور وحتى صارت تابعة للرومان .

كما أشرنا سائفا بالإشارات الأولى عن مدينة أورشليم "القدس" ترجع إلى عام ١٤٥٠ ق.م فى رسائل تل العمارنة المتبادلة بين عبده خيبا حاكم المدينة والملك الفرعونى أمنحتب الرابع وترى فيها عبده خيبا يجاهد بكل قواه للمحافظة على حقوق سيده فى وجهه الغزاة الذين يحاولون الاستيلاء على المدينة ، وتنتهى الرسائل دون أن تعطينا أية إشارات

حول مصير عبده خيبا أو طبيعة الأمور فى المدينة وربما يرجع ذلك إلى ضعف سيطرة مصر على هذه الأجزاء فى ذلك الوقت .

وبعد موت موسى النبى خلفه يشوع بن نون (٩) وفى أثناء غزو يشوع لكنعان يأتى ذكر اسم (الدونى صادق) ملك أورشليم (١٠) الذى اتحد مع ملوك حبرون ويرموت ولخيش وعجلون (١١) ضد يشوع ولكن يشوع هزمهم وقتلهم جميعا .

بعد موت يشوع حارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وأشعلوا فيها النار (١٢) ثم استولى عليها اليبوسيون بضع سنوات أخرى (١٣) وفى حوالى عام ١٠٠٠ ق.م استولى عليها داود الملك (١٠١٢ - ٩٧٢ ق.م) وجعلها عاصمة له بعد أن حررها من اليبوسيين (١٤) وفى عهده اتسعت أورشليم نتيجة لنمو الضواحي وتدفق أتباع داود الملك على المدينة ووجود حامية عسكرية كبيرة (١٥) وموظفين كثيرين وكهنة مع عائلاتهم (١٦) بالإضافة إلى عائلته الملك داود وأقاربهم (١٧) .

وبعد وفاة الملك داود عن عمر يناهز الحادية والسبعين تولى الحكم ابنه سليمان (٩٧٢ - ٩٣٢) واستمر حكمه ٤٠ عاما كأبيه ، وفى عهده شهدت أورشليم نموا متزايدا خصوصا فى المجال المعمارى حيث أقام الهيكل الذى حمل اسمه وبنى قصرا جديدا له وأماكن لإقامة زوجاته وموظفيه ، وعماله الذين وفدوا إلى المدينة لتشييد المباني الفخمة التى أقامها سليمان (١٨) إلى جانب قلعة المدينة وسورها (١٩) .

وفى عهد رحبعام بن سليمان لم تعد مدينة أورشليم العاصمة الموحدة للمملكة اليهودية، إذ انقسمت المملكة اليهودية إلى مملكتين : مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم ومملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة (٢٠) . وفى عام ٩٢٨ ق.م فى السنة الخامسة من حكم رحبعام ابن الملك سليمان غزا شيشنق ملك مصر أورشليم (٢١) واستولى على مدن يهوذا (٢٢) ويبدو أنه لم يستول على أورشليم حيث لم يذكر شئ عن هذه الحملة فى السجلات المصرية ، والأرجح كما جاء فى نصوص العهد القديم أن شيشنق اكتفى بأن قدموا له خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وجميع أتراس الذهب التى عملها سليمان (٢٣) .

ومن النصوص الواردة في سفر الملوك الأول (٢٤) نجد مدينة أورشليم قد استمرت أهميتها في عهد يهوذا فاف رابع ملوك يهوذا ، ولكن في مدة حكم ابنه يهورام (٨٤٩ - ٨٤٢ ق.م) هاجم العرب والفلسطينيون أورشليم ونهبوها (٢٥) وأصبحت أورشليم في ذلك الوقت مسرحا للأحداث المثيرة إذ اغتصبت (عثليا) زوجة (يهورام) ملك يهوذا العرش ثم قُتلت وتولى حفيدها (يوآش) الحكم وهو ثامن ملوك يهوذا (٨٣٦ - ٧٩٧ ق.م) وقام بالعديد من الإصلاحات (٢٦) .

في عام ٧٩٧ انتهز الآراميون حالة الفوضى في أورشليم وقاموا بغزوها بقيادة حزائيل ونهبوا قصر الملك وخزائن بيت الرب (٢٧) وانتهى الأمر بمقتل يوآش (٢٨) وتولى الحكم من بعده ابنه أمصيا (٧٩٧-٧٧١) ويبلغ من العمر خمسة وعشرين عاما (٢٩) .

بعد استيلاء أمصيا على مقاليد مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم دخل في حرب مع يهوآش ملك إسرائيل وانتهت الحرب بهزيمة أمصيا ودخول يهوآش أورشليم وقام بهدم أسوارها ونهب خزائنها وحمل الضائم والأسرى (٣٠) وقتل أمصيا ودفن في أورشليم وتولى بعده ابنه عزريّا (٣١) عام (٧٧١-٧٤٣) الذي حكم مملكة يهوذا لمدة ٥٢ عاما وعمل خلالها على إعادة التحصينات لدخل أورشليم ، فبنى الأبراج عند باب الزاوية وباب الوادي (٣٢) وأقام على الأبراج منجنيقات لترمي من خلالها السهام والحجارة (٣٣) ويبدو أن أورشليم في عهده قد استعانت ببعض مجدها الذي كانت عليه أيام سليمان نظرا لهيبته وقوته التي امتدت إلى مصر (٣٤) ، وقد تعرضت أورشليم لزلزال عظيم في عهده (٣٥) .

توفي الملك عزريّا (لوزيا) حوالي عام ٧٤٣ وتولى الحكم ابنه (يوثام) (٣٦) (٧٤٣-٧٣٦) الذي أكمل البناء الذي بدأه والده ، وبه تولى الحكم ابنه (أحاز) (٧٣٦-٧٢٨) وقد ساد أورشليم في عهده الضعف والاحلال (٣٧) ، وبعد موته تولى ابنه الملك حزقيا (٧٢٧-٦٩٩) ، وتمتعت أورشليم في عهده بالعظمة والتقدير إذ دخل حزقيا في علاقات صداقة مع ملك بابل (٣٨) وخصّ أورشليم لينج ملوك آشور من الوصول إليها (٣٩) غير أنه يبدو أنه واجه تهديدا جديدا بالهجوم على المدينة من جانب آشور (٤٠) .

بعد حزقيا تولى العرش ابنه الملك منسى وكان عمره حينئذ ١٢ عاما وملك ٥٥ سنة (٦٩٨-٦٤٣) ومن النصوص الواردة في سفر أخبار الأيام الثاني (٤١) نرى أن منسى الملك قام ببعض الإصلاحات المعمارية في اورشليم ، ويتضح من نفس السفر أنه سقط أسيرا في يد (آشور بانيبال) ملك آشور (٤٢) ثم أطلق سراحه وعاد إلى اورشليم ومات هناك سنة ٦٣٩ وتولى الحكم من بعده الملك (يوشيا) الذى حكم ٣١ عاما (٦٤٠-٦٠٩) (٤٣) الذى قام بترميم الهيكل وزخرفته (٤٤) .

وفى عام (٦٠٩) حشد فرعون مصر نخاو الثانى (٦٠٩-٥٩٤) جيشه لمعاونة آشور وتقدم لاحتلال أرض الفرات غير أن الملك (يوشيا) ملك يهوذا المتحالف مع بابل تصدى لجيش مصر وتقابل الجيشان المصرى واليهودى عند مجدو فكان النصر لحليف المصريين، وقتل يوشيا ودفن فى قبره فى اورشليم (٤٥) وتولى الحكم بعده ابنه (يهوآحاز) لمدة ثلاثة شهور وقع بعدها أسيرا فى يد نخاو الثانى ملك مصر ومات فى مصر ودفن فيها فى قبور الغرباء (٤٦) ، وخلفه على العرش أخوه (اليقيم) الذى غير نخاو فرعون مصر اسمه إلى (يهوياقيم) عندما أقامه ملكا على يهوذا عام (٦٠٩) (٤٧) . وبعد أن نجح البابليون فى هزيمة مصر فى موقعة كركميش عام (٦٠٥) تحول ملك يهوذا من الخضوع لمصر إلى الخضوع لبابل (٤٨) ثم حاول التمرد على ملك بابل لكنه فشل ومات عام ٥٩٨ بعد أن حكم لمدة أحد عشر عاما وخلفه ابنه (يهوياكين) (٤٩) سبى الحظ إذ بعد ثلاثة اشهر وعشرة أيام فقط من حكمه وقع أسيرا هو وعائلته ورؤساء الشعب وبعض خزائن بيت الرب فى يد نبوخذ نصر ملك بابل وأخذه إلى بابل (٥٠) واستمر هناك مدة ٣٧ عاما (٥١) .

تولى حكم اورشليم بعد ذلك الملك (صدقيا) أخو يهوياكين وابن الملك يوشيا وكان له من العمر ٢١ سنة وملك ١١ عاما (٥٢) (٥٩٧-٥٨٧) ويعتبر الملك صدقيا آخر ملوك يهوذا .

ظل صدقيا الملك مواليا لبابل طوال مدة حكمه ثم قام بالثورة أخيرا ضد الملك نبوخذ نصر ، فما كان من الأخير إلا أن حاصر اورشليم مدة سنة ونصف السنة حتى اشتد الجوع بالمدينة ، مما دفع الملك صدقيا وحاشيته ومعاونيه إلى الهرب ليلا نحو الأردن ،

فتعقبه البابليون وألقوا القبض عليه ، وقادوه أسيرا إلى نبوخذ نصر الذى قام بقتل أولاده أمامه ثم اقتلع عينيه وربطه بسلاسل من نحاس وسبق إلى بابل (٥٣) وحبس حتى وافته المنية (٥٤) وقد أدى حصار نبوخذ نصر لأورشليم إلى تخریبها وأحرقها بالنار (٥٥) وظل الشعب اليهودى فى السبى مدة سبعين عاما .

فى عام (٥٣٨) وبعد أن أصبح كورش ملك فارس سيدا على الإمبراطورية البابلية أعطى الإنن لليهود بالعودة إلى بلادهم وبناء بيت الرب حيث عاد أكثر من ٤٠.٠٠٠ نسمة بقيادة شيشبصر حاكم يهوذا (٥٦) من قبل كورش وقد أعاد إليه الأخير الأوانى المقدسة التى أخذها نبوخذ نصر إلى بابل واستأنف تقديم الذبائح اليومية والاحتفال بالأعياد المقدسة والأصوام (٥٧) .

وكانت أسوار أورشليم مهدمة من جراء الحصار البابلى ولكن فى عام ٤٤٥ نجححميا الذى كان يعمل ساقيا فى بلاط الملك الفارسى أرتخشستا فى العودة إلى أورشليم وبناء أسوارها وقد استغرقت عملية البناء والترميم ٥٢ يوما (٥٨) .

وليس لدينا معلومات تاريخية وافية عن أورشليم طيلة المائة عام التالية (٤٤٥-٣٤٥) ولكن ابتداء من ظهور الإسكندر الأكبر على المسرح التاريخى أصبحنا أمام مرحلة جديدة فى تاريخ أورشليم .

أورشليم فى العصر الهلنستى

بعد معركة إيسوس Issos التى هزم فيها الإسكندر الأكبر الفرس بقيادة ملكهم دارا الثالث فى خريف عام ٣٣٣ قام الإسكندر بزيارة أورشليم ، وإذا كان ذلك غير مؤكد إلا أن زيارته إلى أورشليم كانت محتملة لتحقيق هدفه النبيل فى إيجاد إمبراطورية موحدة تضم الشرق والغرب فى إطار هلىنى يتمتع أبناؤها بالمساواة ويسودهم التوافق الفكرى والعاطفى وهو ما أسماه بالونام homonoia لأن الناس فى نظره مهما اختلفت عناصرهم وقومياتهم إلا أنهم جميعا أبناء لأب واحد .

وبعد موت الإسكندر عام ٣٢٣ تأرجحت فلسطين بين الحكم البطلمي في مصر والحكم السلوقي في سوريا حيث تبادلت الدولتان حكمها . وفى عام ٣١٨/٣١٩ غزا بطليموس الأول (سوتر) جوف سوريا (وكان إقليما يشمل فلسطين وجنوب سوريا ويحده شمالا جبل هرmon (أو جبل الشيخ) وشرقا نهر الأردن وغربا البحر المتوسط) واستولى على أورشليم بخدعة إذ دخلها يوم السبت وهو يوم الراحة عند اليهود ، وأخذ معه كثيرا من الأسرى اليهود إلى مصر (٥٩) . وفى أثناء الصراع الذى قام بين البيت البطلمي فى مصر وخلفاء الإسكندر ظلت أورشليم بمعزل عن الاضطرابات بسبب موقعها المتعزل على الرغم من أن فلسطين نفسها قاست كثيرا ، وفى عام ٣١٥ فقد بطليموس سوتر جوف سوريا بعد أن استولى عليه أنتيجونوس حاكم آسيا الصغرى ولكن سوتر نجح فى استرداده ثانية عام ٣١٢ بعد موقعة غزة .

بعد معركة إيسوس عام ٣٠١ بدأت أورشليم تتأرجح بين الحكم البطلمي والحكم السلوقي فصارت تحت حكم السلوقيين ابتداء من هذا التاريخ ، ولكن بطليموس الثانى فيلادلفوس (٢/٢٨٣ - ٢٤٦) نجح فى استرداد جوف سوريا من يد السلوقيين فى عهد أنطيوخوس الأول عام ٢٨٠/٢٧٩ ، وكان طبيعيا ألا يسلم السلوقيون باستيلاء البطالمة على جوف سوريا وشواطئ آسيا الصغرى لأن ذلك يحرمهم من النشاط التجارى والاحتفاظ بالموانئ الهامة (٦٠) لذلك كان الصدام بينهما آت لا ريب فيه فيما عرف بالحروب السورية ابتداء من عام ٢٧٦ ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت فلسطين سجالا بين الطرفين .

فى عام ٢١٧ زار بطليموس الرابع فيلوباتور (٢٢١ - ٢٠٥) الهيكل اليهودى فى أورشليم بعد انتصاره على أنطيوخوس الثالث فى موقعة رفح وحاول دخول قدس الأقداس ، إلا أن أحبار اليهود رفضوا ذلك لكنه أصر لولا تدخل العناية الإلهية - كما يقول اليهود - إذ ماض الملك بالباب (٦١) فعاد إلى مصر .

وفى عام ١٩٨ نجح أنطيوخوس الثالث (٢٤٢-١٨٧) فى استرداد جوف سوريا من يد البطالمة وقد ساعده اليهود على ذلك انتقاما من بطليموس الرابع الذى اضطهد يهود مصر ، واتقاء لشر أنطيوخوس نفسه فزودوه بالمؤن وأعانوه على محاصرة القوات

المصرية المراقبة فى القلعة . ويسجل لنا سفر الحكمة أحد أسفار الأبوكريفا (٦٢) أن
أورشليم ازدهرت فى ذلك الوقت وتمتعت بمظاهر الحياة والنشاط ونجح سمعان بن
أونياس فى ترميم الهيكل والأسوار ورغم ما قدمه اليهود للسلوقيين إلا أنهم حُرّموا الحرية
الدينية وعانوا من زيادة الضرائب وأصبح الولاء للديانة اليهودية خيانة للحاكم السلوقى .

وأثناء حكم أنطيوخوس الرابع إبيفانيس (٢١٥-١٦٣) تدخل لفض النزاع بين الكاهن
الأعظم (أونياس الثالث) الذى كان منحازا للبطالمة وبين أخيه (ياسون) الذى كان منحازا
للسلوقيين ، وفى عام ١٧٤ حصل ياسون على مركز رئيس الكهنة بعد أن دفع رشوة
كبيرة لأنطيوخوس وتعهد له بتحويل سكان أورشليم إلى الهلينية (٦٣) فأنشأ الجمنازيوم
فى أورشليم لتعريف الشباب اليهودى بالألعاب والتقاليد اليونانية ، وشجعه أنطيوخوس
على ذلك ليس فقط لتحويل اليهود إلى الثقافة الهلينية بل أيضا لملء الخزانة السلوقية
بالمال بعد أن نضب معينها بسبب الجزية الكبيرة التى كان أبوه يدفعها لروما ، ومما يؤكد
ذلك أنه بعد ثلاث سنوات - أى فى عام ١٧١ - أرسل ياسون رسوله المدعو منلاوس
إلى الملك أنطيوخوس الرابع بمبلغ كبير من المال ، إلا أن منلاوس انقلب على ياسون إذ
نجح فى إقناع أنطيوخوس بالتخلي عن ياسون واختياره هو رئيساً للكهنة مقابل تقديم
برنامج أقوى لتحويل اليهود إلى الثقافة الهلينية وأن يدفع له أضعاف ما كان يدفعه
ياسون ، وقد وافق أنطيوخوس على ذلك لحاجته الشديدة للمال هذا من ناحية ، ومن ناحية
أخرى وجدها أنطيوخوس فرصة ليحطم أحد العوامل القوية فى توحيد اليهود وهو
حرصهم على أن يكون رئيس الكهنة من سبط هارون فقط ، فمنلاوس من سبط بنيامين
واختياره رئيساً للكهنة سوف يحطم فكرة أن يكون الاختيار وفقاً على سبط هارون فقط
وهذا يعطى السلوقيين الفرصة فيما بعد فى اختيار رؤساء الكهنة كما يشاءون دون التقيد
بالتقاليد اليهودية (٦٤) .

هرب ياسون من أورشليم متجها صوب شرق الأردن ، ونهب منلاوس الآنية الذهبية
الخاصة بالهيكل ، باع بعضها وأعطى البعض الآخر هدية لأندرونيكوس نائب أنطيوخوس
فى أنطاكية ليشتري ذمته ويصبح طوع أمره ، ولما احتج أونياس الثالث رئيس كهنة
اليهود الشرعى والذى كان لا يزال فى أنطاكية على تصرفات منلاوس أغرى الأخير
أندرونيكوس على قتله (٦٥) .

وفى عام ١٦٩/١٧٠ غزا أنطيوخوس مصر وهزم بطليموس السادس فيلومتيور وأثناء ذلك حدثت اضطرابات فى أورشليم بسبب إشاعة بأن انطيوخوس قتل فى مصر فخرج ياسون من مخبئه فى شرق الأردن وهاجم أورشليم وأجبر منلاوس على الهرب ، وانتقم ياسون من الشعب فذبح الكثيرين من الأبرياء مما أدى إلى تفاقم الأوضاع بالمدينة وانتهت بطرده خارجها فلجأ مرة أخرى إلى شرق الأردن (٦٦) .

بمجرد عودة أنطيوخوس من مصر قرر أن يخضع أورشليم (٦٧) لأنه أدرك أن ثورة اليهود على منلاوس هى ثورة عليه ، لذلك اقتحم المدينة ومعه منلاوس ودخل الهيكل ونهب ما فيه انتقاما من اليهود وأشعل النار فى المدينة وهدم الأسوار والبيوت وذبح الرجال وباع النساء والأطفال (٦٨) وبعد ذلك غادر المدينة بعد أن تركها تحت حكم أحد قادته ويدعى فيليب الفريجي (٦٩) .

فى عام ١٦٧ عزم أنطيوخوس الرابع على محو الديانة اليهودية وذلك بتحريم عاداتهم ونواميس آبائهم ، فمنع حفظ يوم السبت ، والأعياد ، والذبائح ، وختان الأطفال ، وأمر بحرق نسخ التوراة ، وإقامة المذابح الوثنية ، وأمر بتقديم ذبائح نجسه ، وأكل لحم الخنزير (٧٠) وكل من يعصى هذه الأوامر يعدم ، ووصل الأمر أنه جعل هيكل أورشليم مكانا لعبادة الإله زيوس Zeus وقدم لحم الخنزير على مذبح زيوس الذى أقامه فوق مذبح المحرقة (٧١) وكانت هذه الذبائح تقدم فى الخامس والعشرين من كل شهر بمناسبة عيد ميلاد أنطيوخوس أبيفانيوس .

لقد أراد انطيوخوس من وراء كل ذلك توحيد إمبراطوريته حول الثقافة الهلينية معتقدا أن الديانة اليهودية تميل إلى تأييد البطالمة لكنه فشل فى تحقيق ذلك بل أدت تصرفاته هذه إلى إشعال ثورة المكابيين التى بدأها متتيا فى مودين عام ١٦٧ (٧٢) وواصلها من بعده ابنه يهوذا المكابى ١٦٥ ثم يوناثان عام ١٦٠ فسمعان ١٤٣ وأخيرا يوحنا هيركانوس ١٣٤ بعد ذلك .

بلغت أنباء الثورة المكابية أنطيوخوس الرابع فأمر فى عام ١٦٥ قائده ليسياس الحاكم على الجزء الغربى من مملكته والوصى على ابنه بإنهاء التمرد المكابى وإيادة جنس

اليهود (٧٣) لكن الجيش الذى أرسله ليسياس بقيادة (جرجياس) منى بهزيمة ساحقة وأجبر الجنود السوريون على الفرار (٧٤) .

وفى عام ١٦٤ قاد ليسياس بنفسه جيشا أكبر وهاجم أورشليم من الجنوب ولكن يهوذا المكابى نجح فى هزيمته فى بيت صور (٧٥) واستعاد يهوذا كل أرض اليهودية ما عدا قلعة أورشليم ، وقام بتجديد الهيكل وتدشينه وأعاد الذبائح اليومية فى الخامس والعشرين من شهر كسلو (١٤ ديسمبر ١٦٤) وكان هذا بداية عيد التجديد اليهودى أو عيد الأنوار (٧٦) .

استشاط أنطيوخوس الرابع غضبا عندما سمع بانتصارات يهوذا المكابى لكنه لم يفلح فى استعادة أورشليم وانسحب ومات مجنونا فى بلاد فارس فيما بين ربيع وصيف عام ١٦٣ (٧٧) .

فى عهد أنطيوخوس الخامس (١٧٣-١٦٣) حاصر يهوذا المكابى قلعة أورشليم لاستعادتها من السلوقيين لكن ليسياس الوصى على الملك نجح فى هزيمته هذه المرة فى منطقة بيت زكريا الواقعة جنوبى غرب أورشليم (٧٨) وحاصر أورشليم ، ولقاء ذلك سمع ليسياس بقدوم فيلبس من فارس لحصار سوريا فبادر ليسياس بعقد الصلح مع يهوذا وأعدا إياه بالحرية الدينية ، وبعد دخولهما أورشليم نقض ليسياس العهد وأمر بهدم السور الذى يحيط بجبل صهيون ، ثم انصرف مسرعا لملأكاة فيلبس الذى كان قد استولى على سوريا بالفعل وحاربه حتى استرد المدينة مرة أخرى (٧٩) .

وفى عام ١٦٢ قبض ديمثريوس الأول سوتير على كل من ليسياس وأنطيوخوس الخامس وقتلهما (٨٠) وقتل يهوذا المكابى عام ١٦١ واحتل السوريون أورشليم وما حولها وتولى قيادة اليهود يوناثان أخو يهوذا المكابى عام ١٦٠ . وقد نجح يوناثان فى أن يكسب ثقة الملك أنطيوخوس السادس (١٤٨-١٤٢) فعينه رئيسا للكهنة ونائبا للملك فى اليهودية ، فجدد يوناثان المدينة وأعاد بناء قلعتها (٨١) وارتفع بأسوارها وشيد حائطا بين القلعة والمدينة ليفصلها عن الحامية السورية (٨٢) ونجح يوناثان فى إعفاء بلاده من دفع الجزية للملك السلوقى ونجح أيضا فى أن يجعل سوريا مسرحا للشغب وللفتن حتى لقب بيوناثان

١٠. حتى وبعد ذلك أسره القائد السوري تريفون وقتله عام ١٤٣. ثم دبر تريفون مقتل أنطيوخوس السادس في عام ١٤٢ (٨٣) وخلفه أنطيوخوس السابع (١٤٢-١٢٩).

وبعد يونانان خلفه سمعان وهو آخر أبناء (ممتيا) واستطاع الاستيلاء على قلعة أكراسورية التي كانت تلقى الرعب في قلوب سكان أورشليم، وصك نقودا خاصة باسمه، وعاشت أورشليم في سلام وتحسنت أحوال البلاد بصفة عامة في عهده (٨٤) وفي عام ١٣٤ قُتل سمعان بيد صهره المدعو بطوليمائس إلا أن يوحنا بن سمعان المدعو يوحنا هيركانوس استطاع الهرب وقاد المكابيين في حكم أورشليم لمدة ٢٩ عاما (١٣٤ - ١٠٥) أخضع خلالها الأدوميين أعداء إسرائيل القدامى كما أخضع أهل السامرة بعد حصار سنة كاملة انتهت بتدميرها.

في عام ١٣٤ نجح أنطيوخوس السابع سيديفيس في حصار أورشليم مما أدى إلى حدوث مجاعات داخل المدينة بسبب نقص الطعام، فاضطر يوحنا هيركانوس إلى التسليم وعقد الصلح الذي استعاد بمقتضاه السلوقيون سلطانهم على المدينة، وبعد مقتل أنطيوخوس السابع في عام ١٢٩ تولى الحكم بعده ديمتريوس الثاني للمرة الثانية (١٢٩-١٢٥) وخلال تلك الفترة نجح يوحنا هيركانوس في التحالف مع روما إذ أرسل سفارة إلى البيت الروماني ورحبت روما بذلك مستغلة الصراع الدائر في البيت المكابي في أواخر عهدهم بين ارستوبولس الثاني وهيركانوس الثاني، إذ ثار الأخير بتحريض من انتيباس الأدومي ضد أخيه ارستوبولس الثاني، وبفضل مساعدة أريتاس ملك النبطيين حاصر هيركانوس أخاه ارستوبولس في الهيكل فتدخل الرومان لفض النزاع فتغلب بومبي على ارستوبولس (الذي ملك بين سنة ٦٩ و ٦٣ ق.م) وعزله وجعل أخاه هيركانوس الثاني في وظيفة الكاهن الأعظم وأقامه أميرا تحت الحماية الرومانية. وخلف هيركانوس أنتيجونوس بن ارستوبولس (٤٠ - ٣٧ ق.م) فكان آخر السلالة المكابية وانتقل الملك منهم إلى هيرودس الكبير بن انتيباتروس وقد بلغت أورشليم في عهده قمة مجدها وعظمتها.

ومنذ تلك اللحظة أصبحت أورشليم خاضعة للإمبراطورية الرومانية (٨٥) إلى أن دمرها تيطس ابن الإمبراطور فسبسيانوس عام ٧٠م، وفي عام ١٣٨م أقام الإمبراطور

هادرينانوس مدينة جديدة على أطلال أورشليم سميث إيلياء الكبرى أو إيليا كابيتولينا
. Aelia Capitolina

ومما سبق يتضح لنا :

١- أن الشعب اليهودي شعب متمرد بطبعه ، متقلب المزاج ، لكنه يعرف كيف يستفيد من كل الظروف المحيطة به لتحقيق أحلامه ، فيستكين حينما يرى يد الحاكم قوية مثلما حدث في عهد أنطيوخوس الثالث ، ويميل منحازا للبطالمة أعداء السلوقيين مثلما فعل أونياس الثالث كاهنهم الأعظم ، ولم يتورع في أن يشتري نهم الحكام بالمال وبكافة الوسائل مثلما فعل ياسون ومنلاوس في عهد أنطيوخوس الرابع .

٢- السلوك اليهودي منذ القدم يبعث على الاستمزاز والضجر وهذا ما دفع بطليموس الرابع فيلوباثور إلى الانتقام منهم في مصر بعد عودته من أورشليم بعد معركة رفع ٢١٧ ق.م ، إرغامهم على عبادة الإله الإغريقي ديونيسوس إله الخمر ، ونفس الشيء فعله الملك أنطيوخوس الرابع الذي عمل على مجو الديانة اليهودية وطقوسها ، وأرغم اليهود على عبادة الإله الإغريقي زيوس وأكل لحم الخنزير المحرم عند اليهود انتقاما منهم .

٣- تعاضد الدور اليهودي في حركة التاريخ في فلسطين عموما وأورشليم خصوصا ، واتضح ذلك بصورة أوضح خلال حكم الأسرة المكابية ، كما يلاحظ سلبية الدور الفلسطيني خصوصا خلال العصر الهلنستي وربما يرجع ذلك لأن شوكتهم لم تكن قوية مثل اليهود .

ونخلص إلى التأكيد على أهمية الدور العربي في مساندة الشعب الفلسطيني حتى يأخذ حقوقه كاملة من هؤلاء اليهود ، وذلك برسم استراتيجية عربية محددة لمواجهة الاستراتيجية الإسرائيلية التي وضعت قبل صدور وعد بلفور .

حواشي البحث

١- رسائل تل العمارنة هي مجموعة رسائل عثرت عليها زوجة أحد الفلاحين عام ١٨٨٧ واشترتها متاحف أوروبا ، ومعظم هذه الرسائل من أرشيف الملك أمنحتب الثالث Amonhotep وابنه - Akhen Aton وقد ورد بها إشارات عن أورشليم خصوصا في الرسائل المتبادلة بين الملك أمنحتب الثالث وعبد خبيا حاكم أورشليم التابع لمصر .

راجع الرسائل رقم ٢٨٦ ، ٢٨٩ وترجمها W. F. Albright في :

- Ancient Near Eastern Texts, Relating to Old Testament , Edited by James B. Pritchard , (3rd. ed., Princeton , New Jersey), 1969 PP. 487 n. 17; 489.

انتظر أيضا ما جاء في الرسائل الآرامية حول أورشليم عند :

A. E. Cowley , Aramaic Papyri of the 5th. Century B. C. Nos. 10-11; 21-30 , Oxford, 1923.

٢- العهد القديم : سفر التكوين ١٤ : ١٨ ، والمزامير ٧٦ : ٢ .

٣- سفر إرميا ٢٦ : ١٨ ، سفر استير ٢ : ٦ ، سفر أخبار الأيام الثاني ٢٥ : ١ ، ٣٢ : ٩ .

٤- ورد اسم (يبوس) في نصوص العهد القديم في سفر يشوع ١٥ : ٦٣ ، سفر القضاة ١٩ : ١٠ ، أخبار الأيام الأول ١١ : ٤ ، ويبوس اسم أورشليم في عهد اليبوسيين وكانت مساحتها صغيرة جدا بالنسبة لمساحة أورشليم في زمن سليمان الملك وكانت قلعة لمعقل صهيون وحصن . راجع : سفر صموئيل الثاني ٥ : ٧ ، ١ أخبار ١١ : ٥ .

واليبوسيون اسم قبيلة كنعانية سكنت منطقة ييوس أو أورشليم والجبال التي حولها في أيام يشوع (سفر التثنية ٧ : ١ ، ٢٠ : ١٧) انتظر أيضا : Joseph . Ant. Jud . V : 2-3

٥- لورينيل : اختلفت الآراء حول معنى هذا الاسم فمن قائل إنها تعني موقد مذبح الله أو جبل الله وقد سميت لورشليم بهذا الاسم في أيام يشوع أيضا . انتظر : سفر يشوع ٢٩ : ١-٧ .

٦- سفر أشعيا ١ : ٢٦ .

٧- ٤٨ : ٢ ، سفر ترميا ١١ : ١ .

٨- قلموس الكتاب المقدس : تحت كلمة لورشليم .

٩- يشوع اسمه الأصلي هو شمع (سفر العدد ١٣ : ٨) وهو خليفة موسى النبي (سفر الخروج ١٧ : ٩ ، ٢٤ : ١٢) وكان يبلغ من العمر عندئذ ٤٤ سنة .

١٠- سفر يشوع : ١٠ : ١ - ٢٧ ، ١٥ : ٣٥ .

١١- حبرون : هي مدينة جبلية تابعة لمملكة يهوذا وسميت قديما قرية أربع وباليونانية تيترابولس (راجع يشوع ١٥ : ٤٨ ، ٥٤ وأيضا سفر التكوين ٢٣ : ٢) وهي الآن مدينة الخليل نسبة إلى إبراهيم خليل الله ، وتعد من أقدم المدن في العالم وقد أقام فيها الإمبراطور جستنيان كنيسة عريقة .

أما يرموت ولخيش فهما من مدن السهل يهوذا أيضا وتعرف لخيش بتل الحصى . وتدل الحفريات الأثرية على أن لخيش خربت مرتين في أوائل القرن السادس ق. م وربما يكون لذلك علاقة بحصار أورشليم (سفر الملوك الثاني ٢٤ : ١٠ وما بعده) أما عجلون فهي مدينة ساحلية إلى الشمال الشرقي من غزة ويرجح أن مكانها اليوم تل الحس قرب إربد في الأردن .

١٢- سفر القضاة ١ : ٨

١٣- ١١ : ٢١ ، ١٩ : ١١

١٤- راجع سفر صموئيل الثاني الإصحاح الخامس وما بعده (حيث كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك واستمر في ملكه ٤٠ عاما ملك على يهوذا سبع سنين وستة اشهر وعلى أورشليم ٣٣ سنة . وتشير نصوص العهد القديم إلى أن داود رغم استيلائه على منطقة أورشليم خصوصا منطقة الحصن والذي جعله جزءا من عاصمة مملكته إلا أنه لم يتمكن من طرد اليوسيين نهائيا (صموئيل الثاني ٥ : ٦) و١ أخبار ١١ : ٤ - ٨) فبقى بعضهم في المدينة بعد استيلائه عليها منهم أرومة اليبوس (صموئيل الثاني ٢٤ : ١٦ - ٢٥) وقد أخضع ابنه سليمان بقية اليوسيين وسخرهم وفرض عليهم الجزية (سفر الملوك الأول ٩ : ٢٠ - ٢١) وبقي بعض اليوسيين في اليهودية إلى ما بعد الرجوع من السبي البابلي (عزرا ٩ : ١ - ٢).

١٥- سفر صموئيل الثاني ١٥ : ١٨ ، ٢٠ : ٧

١٦- ١٦ : ١٨ ، ٢٠ : ٢٣ - ٢٦ ، ٢٣

١٧- ١٣ : ١٦ ، ١٤ : ٢٤ ، ٢٨ ، ملوك أول ١ : ٥

١٨- سفر الملوك الأول ٧ : ١ - ٨

١٩- ٣ : ١ ، ٩ : ١٥ و ٢٤ ، ١١ : ٢٧

٢٠- ١٤ : ٣٠ ، ١٥ : ٦ - ١٦ ، ٢٢ : ٢٤

٢١- ١٤ : ٢٥ - ٢٦

٢٢- سفر أخبار الأيام الثاني ١٢ : ٤

٢٣- سفر الملوك الأول ١٤ - ٢٦

٢٢	-٢٤
٥: ٢٣	-٢٥ سفر أخبار الأيام الثاني
١١: ١٢، ١٦: ١ - ١٦ وأيضاً سفر أخبار الأيام الثاني ٢٣: ١٥،	-٢٦ سفر الملوك الثاني
	١٤: ١ - ٢٤
١٢: ١٧ - ١٨، سفر أخبار الأيام الثاني ٢٤: ٢٣	-٢٧ سفر الملوك الثاني
١٢: ٢٠ - ٢١، " " " " ٢٥: ٢٤	-٢٨
١٤: ١ - ٢٠، " " " " ٢٥: ١ - ٢٨	-٢٩
١٤: ٨ - ٩، سفر العدد ١٤	-٣٠
١٥: ١٣ و ٣٠ - ٣٤	-٣١
٩: ٢٦	-٣٢ سفر أخبار الأيام الثاني
١٥: ٢٦	-٣٣
٨: ٢٦	- ٣٤
٥: ١٤	- ٣٥ سفر زكريا
١٥: ٣٥ ملك يوثام مع أبيه لاثمين (٧٥١ - ٧٤٣) ومنفردا ١٦ سنة	-٣٦ الملوك الثاني
	(٧٤٣ - ٧٣٦)
١٦، أخبار الأيام الثاني ٢٨: ٣	-٣٧ الملوك الثاني
٣٩: ١ - ٢: لرمي مردوخ بلادان ملك بابل رسائل وهدية إلى الملك	-٣٨ سفر اشعيا
	حزقيا لأنه سمع بمرضه
٢٠: ٢٠	-٣٩ الملوك ثاني
١٩: ٩ - ٣٧	-٤٠
١٤: ٣٣	-٤١ أخبار الأيام الثاني
١١: ٣٣ وأيضاً: Joseph. Ant. Jud X, 3.2	-٤٢
٢٣: ٢٩ - ٣٠	-٤٣ الملوك الثاني
٢٢	-٤٤

- ٢٥ : ٣٥ - ٤٥
- ١٢ - ١٠ : ٢٢ - ٤٦ سفر إرميا
- ٤ : ٣٦ - ٤٧ أخبار الأيام الثاني
- ٢٣ : ٢٤ ، ٣٥ ، ٧ = أخبار الأيام الثاني ٣٥ : ٢٠ - ٤٨ سفر الملوك الأول
- سفر إرميا ٢ : ٤٦ وأيضا : Joseph . Ant . Jud X 6.3
- ١٦ : ٢٤ - ٤٩ الملوك الثاني
- ١٠ - ٩ : ٣٦ - ٥٠ ، أخبار الأيام الثاني
- ٣٠ - ٢٧ : ٢٥ - ٥١
- ١١ : ٣٦ - ٥٢ ، أخبار الأيام الثاني
- ٢٤ : ١٧ - ٢٠ ، ٢٥ : ١ - ٧ ، أخبار الأيام الثاني - ٥٣
- ٢٤ : ١١ - ٢١ ، سفر إرميا ٣٩ : ١ - ٢٤
- ١١ : ٥٢ - ٥٤ سفر إرميا
- ٢٥ : ٨ - ١٢ ، أخبار الأيام الثاني ٣٦ : ١٧ - ٢١ - ٥٥ الملوك الثاني
- ١١ : ١ - ٥٦ سفر عزرا
- ٧ - ٣ : ٣ - ٥٧
- ٥٨ - للمزيد من التفاصيل راجع سفر نحميا . العهد القديم
- Joseph , Contra Apion I, 209 - 212 , Ant. Jud. X11, 3 - 6 (59)
- وحول طقس يوم السبت عند اليهود راجع : سفر الخروج ٢٠ : ٨ - ١١ ، سفر التثنية ٥ : ١٢ - ١٥
- ٦٠ - إبراهيم نصفي : مصر في عهد البطالمة ، الجزء الأول ، الطبعة السادسة (١٩٨٤) ص ١١٠
- ٦١ - من الطريف كما يروى تاريخ المكابيين - 2 : 28 III Macc. أن الملك بطليموس الرابع بعد عودته من اورشليم أراد الانتقام من يهود مصر فطلب منهم عبادة الإله الإغريقي ديونيسوس إله الخمر فرفضوا فقبض عليهم وأرسلهم إلى حلبة السباق في الإسكندرية لقتلهم بواسطة الفيلة الضخمة لكن الفيلة بدلا من أن تقتلهم فتكت بجثود بطليموس ، وبهذه المناسبة احتفل اليهود سنويا في مدينة بطوليماوس (المنشاه بالقرب من سوهاج) لمدة ٤٠ يوما تبدأ من ٢٥ من شهر بشنس حتى ٤ من شهر أبيب (٢٠ مايو - ٢٨ يونيو) :

- Cf. Joseph. C. Apion , 53 - 5 , III Macc, edited by R. H. Charles , The Apocrypha and Pseudepigrapha of the old Testament 2 vols. Oxford 1913.

ونحن نرى أنه في أغلب الظن أن قصة الاحتفال بخلاص اليهود من الفيلة قصة مختلفة وربما مزيج من الخيال والحقيقة .

٦٢- سفر الحكمة ٥ : ١ - ٤ : سفر الحكمة أحد أسفار الأبوكريفا وهي كتب دينية وصفها اليهود بهدف نقد الأوضاع الظالمة التي يعيش فيها اليهود ، وكتبت بالعبرية والآرامية وهي لم ترد أصلاً في التوراة لذلك عرفت باسم Apocrypha تميزاً لها عن أسفار التوراة المنزلة Kanonika

(63) I Macc. 1: 10 - 15 , II Macc. 4 : 7 - 17

(64) II Macc. 4 : 23 , III Macc. 4

(65) 4 : 31 - 34

(66) 4 : 39 , 5 : 10

(67) 5 : 11 - 17

(68) I Macc 1 : 31 - 35 , II Macc. 5 : 24

(69) 1 : 20 - 29 , II Macc. 5 : 18 - 22 =

Joseph. ant . Jud X11, 5,3

(70) II Macc. 6.18

(71) 6 : 1 - 11 , I Macc. 41 : 64

(٧٢) سفر دانيال ١١ : ٣٢ - ٣٥

(73) I Macc. 3 : 32 - 36

(74) I Macc. 4 : 1 - 22

(75) 4 : 28 - 35

(76) 4 : 52 - 59 , II Macc. 10 : 1 - 11

(77) 6 : 1 - 17 , II Macc. 9 : 1 - 29

(78) 6 : 28 - 54

(79) 7 : 55 - 63

(80) 7 : 1 - 4 , II Macc. 14 : 1 - 2

وديمتريوس الأول هو الابن الثاني لسلوقس الرابع وابن أخ انطيوخوس الرابع .

(81) I Macc. 10 : 10 - 11

(82) 12 : 36 - 37

- (83) 11:1 - 13
(84) 16:1 - 10
(85) Joseph . X 111, 10 - 7, 14 - 2